الرو اية الفلسفية وسؤال الكونية

Philosophical novel and cosmic question

مرين أحمد، [1] خليفي بشير، [2]
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة مصطفى اسطمبولي معسكر

تاريخ الاستلام: 2020/09/10 تاريخ القبول: 2020/09/30 تاريخ النشر: 2020/12/30

ملخص:
تبدو العلاقة مُلتبسة بين الفلسفة والتوجه الكوني، فهي من جهة خطاب عقلاني يروم الكونية، ومن جهة أخرى خطاب فردي له خصوصيته، ضمن هذا الإطار يبدو الحديث مُهما عن الرواية بوصفها واحدا من السبل التي يمكن أن يتحقق من خلالها الفكر الفلسفي، وبالخصوص من زاوية تأسيسه على النقد وتوجهه نحو الكونية، نظرا لما تتميز به من صفات على غرار نسبة مقروئيتها، زيادة على إمكانية تجسيدها على مستوى المسرح والسينما. إن غرضنا من ورقتنا البحثية هذه لا يتباعد عن معالجة الإشكالية المعرفية التالية: كيف يمكن للعمل الروائي أن يحمل هاجس التفلسف؟ وهل ساعدت الرواية الفلسفة –ومن ثمة الفلاسفة- في تيسير وتبليغ أفكارها بغرض تحقيق الكونية؟

الكلمات المفتاحية: الرواية، الفلسفة، الكونية، الإنسانية، الواقع.

Abstract :The relationship between philosophy and cosmic orientation seems ambiguous. It is on the one hand a rational discourse that seeks to cosmopolitan, and on the other hand, an individual discourse with its specificity. Criticism and its orientation towards cosmopolitanism, because of its qualities such as its readability ratio, in addition to the possibility of its embodiment at the level of theater and cinema in particular, our purpose in this paper does not diverge from addressing the problem of knowledge of the following: How can the work of novelism holds the obsession of philosophy? Has the novel helped philosophy - and from there philosophers - to facilitate and communicate its ideas for the purpose of achieving universality?

Keywords: novel, philosophy, cosmic, humanity, reality.

1- **مرين أحمد، طالب دكتورالي** ، ahmed.merin@univ-mascara.dz , مخبر حوار الحضارات والتنوع الثقافي وفلسفة السلم – جامعة مستغانم .

2- **خليفي بشير، أستاذ تعليم عالي**، bachir.khelifi@univ-mascara.dz , مخبر البحوث الاجتماعية والتاريخية جامعة معسكر .

المنـــارة للاستشارات
www

مقدمة:

إن ما يعرفه العالم المعاصر من تحولات ومفارقات في ظل سياقات الحداثة والعولمة، أفضى إلى إقرار مُنتشر لدى الكثيرين مفاده أن التوجه الغالب للرؤى يُفضي إلى الإعلاء من شأن التوجه المادي، الذي يرى أن ما في هذه المعمورة كله سلعة قابلة للاستثمار والاستهلاك، بما ينسجم مع منطق الربح وصلا إلى الاستغلال. الأمر الذي أفضى إلى سيطرة الماديات على الروحيات، هذا ما يُمكن إدراكه عبر تجليات رئيسة للرأسمالية العالمية.

ولقد شكل الوضع السابق، المرتبط بسَلعَنَة القيم الثقافية والمعرفية، أرضية واسعة لنقاش مستفيض، انبرى له عدد من الفلاسفة والمفكرين، خصوصا أولئك الذين تحمل مشاريعهم هواجس الإنسانية وتقدم رؤى وحلول لمشكلات القلق التي تِؤرق الإنسان وتقض مضجعه، على غرار تلك الأسئلة المتعلقة بالوجود، المصير، المعرفة، الدين والأخلاق والحرية. كما أفضى الوضع الجديد إلى السعي الحثيث لإيجاد أقنية مناسبة تكون أكثر مرئية وفاعلية بتوجهها نحو الكونية، يتحدد دورها في نشر هذا الخطاب الجديد وإثبات جدواه. ضمن هذا الإطار حتمت الضرورة المعرفية وجوب التفكير المستمر لإعادة تشغيل "قطار الكونية" في إحالة للمشروع الفلسفي الإنساني، الذي يحمل القيم الإنسانية والمعرفية، بوصفه مشروعا لعولمة بديلة، أو بوصفه عولمة موازية تعيد القيم الإنسانية للواجهة.

لقد ظلت الفلسفة عبر تاريخها الطويل، صاحبة أهم مبادرات الإحياء عبر التاريخ، وكان توجهها الأساس ينطلق من الحيز الذاتي، في إحالة إلى "الإبستيمي" بمنطق ميشال فوكو (1926- 1984) Michel Foucault، ثم التوجه إلى الكونية حين تبنها للعقلانية ومنطق الاستدلال المفضي بالضرورة إلى الكونية، وذلك عبر محاولاتها المتكررة باقتراح الحلول المناسبة لمشكلات الواقع المعيش، وهي المشكلات التي يحياها الإنسان بالنظر إلى طبيعة سياقه من جهة، وإلى تأثيرات العولمة من جهة أخرى، الأمر الذي يُمكن الفلسفة من إثبات حضورها من منطلق الماهية والضرورة التي أعلن عنها الفيلسوف الألماني ماكس هوركايمر Max Horkheimer (1895- 1973)، حينما ربط فاعلية الفلسفة بنقد السائد اجتماعيا.

من هذا المنطلق ارتأينا في بحثنا هذا، الموسوم بـ: "الرواية الفلسفية وسؤال الكونية" أن نطل على مشروع الكونية من شرفة الرواية الفلسفية، الأمر الذي يُفضي لفرادة، تتعلق بالمبررات الموضوعية التي تجعل من الرواية حاملا وحاضنا للفلسفة بموضوعها ومنهجها تجاه الكونية، وذلك بالنظر إلى خصوصية الرواية في القرن العشرين بوصفها ديوان العصر، والفن التعبيري الأكثر شهرة، وذلك بِحُكم نسبة مقروئيتها العالية، إمكانية ترجمتها إلى أعمال مرئية على غرار المسرح والسينما، وكذا ارتباطها الوثيق بالحياة المعيشة للإنسان، حيث يدرك من خلاله وجوده في خصوصيته وتعدده.

المنارة للاستشارات

غرضنا في ورقتنا البحثية هذه، لا يتباعد عن معالجة الإشكالية المعرفية التالية: كيف ساعدت الرواية الفلسفية في إيصال الأفكار للعالم على أوسع نطاق وإعطائها السمة الكونية؟

من أجل تذليل هذه الإشكالية قمنا بتحديد بعض الفرضيات والعناصر المهمة المتعلقة بهذا الموضوع، بداية بالحديث عن الرواية الفلسفية

هذا، إضافة إلى الحديث عن مختلف التفاعلات الحاصلة بين الأدب والفلسفة، وكذا معرفة الطريقة التي خدم بها هذا التفاعل والتجاذب المستمر الرواية وقادها إلى العالمية، ومن ثمة خدمة مشروع الكونية كما يتجلى في أعمال الرواد على غرار جون بول سارتر ونجيب محفوظ، هذا الأخير الذي سنسلط الضوء على روايته الشهيرة " أولاد حارتنا" كأنموذج عن الرواية الكونية كونها أحدثت الكثير من الجدل وكانت سببا رئيسا في نيله جائزة نوبل للآداب سنة 1988.

2-الرو اية الفلسفية: بدءا يُمكن القول بأن الرواية الفلسفية هي نتاج التفاعل بين الفلسفة والرواية، أو بالأحرى بين التأمل الفلسفي بحضور العقل، وبين الإبداع الأدبي الذي يتملكه الوجدان، إنها قصة طويلة تجمع المنطق والبلاغة.

وفي السياق نفسه، إن الحديث عن موضوع الرواية الفلسفية، يُفضي بالضرورة إلى البحث في علاقة الأدب بالفلسفة، وهي علاقة ضرورية ومُتشابكة في الوقت نفسه، نظير الحاجة المتبادلة، لأن الفيلسوف يحتاج بالضرورة للأدب والعكس صحيح، هذا زيادة على الأصول الفلسفية للتوجهات النقدية في الأدب.

ثم إن للرواية مجالا واسعا، يُمكن كاتبها من حيازة فضاء ممتد للتعبير عن أفكاره وهواجسه، الأمر الذي أمدها بحضور وشهرة لأنها رصد لواقع الإنسان بشكل خاص، وللحياة البشرية بشكل عام، فالرواية "ليست تجسيدا للواقع فحسب، ولكنها فوق ذلك موقف من هذا الواقع..."1.

في السياق نفسه، يبدو من العسير تصنيف رواية معينة بأنها فلسفية، وذلك لأن كل الأعمال الروائية لا تكاد تخلو من هذه السمة، أي من فعل التفلسف، مادام الإنسان كاتبها، فهي بالضرورة تستمد فلسفتها من أفكاره وتخيلاته، وخصوصا من أسئلته الوجودية، حيث اعتبر فريديريك هيجل Friedrich Hegel (1831 -1770)، الرواية صورة الإنسان ومرآته، فالذات هي الرواية التي تتكلم داخلها.

وما دامت الرواية جنسا أدبيا، يعتمد على السرد ويستخدم الخيال، فإن ارتباطها بالأيديولوجيا امر واقع، لدرجة اعتبار الإيديولجيا جزءا مكونا للنص الأدبي،2 لأن الرواية في نهاية المطاف تعبر عن فلسفة الروائي في مزاوجتها مع فلسفات الشخوص.

لقد بدأت الرواية الفلسفية، بوصفها واحدة من الفنون، أو بالأحرى من أجناس الرواية التي أبدعها الإنسان منذ القرن الثامن قبل الميلاد، على غرار الأوديسا والإلياذة. ومع الفكر الإغريقي حيث البواكير الأولى للفلسفة مع هوميروس كونها حملت بعض الأجوبة عن مسائل الشرف، الشجاعة، الحرب. ثم تجلت

المنارة للاستشارات

من زاوية مغايرة عبر إثارة الأدب لجدل واسع في عهد أفلاطون الذي أبعد الشعراء عن جمهوريته الفلسفية، كما تناول أرسطو موضوع الأدب، ففي كتاب الشعر تحدث عن مهمة الفن ودوره في تصوير العواطف، مُبرزا اختلافه عن الفلسفة بِحُكم قيام هذه الأخيرة على البرهنة والحِجَاج.

لقد تطورت الرواية الفلسفية مع مرور الأزمنة، وذاع صيتها وتعددت أصنافها بين الواقعية والرومنسية والتاريخية والفلسفية... وغيرها. وهي في نفس الوقت رواية، أو بالأحرى رواية عادية نظرا لاحتوائها على عناصر: - الشخصيات – الموضوع – الزمان والمكان – العقدة، الأحداث والحوار ...إلخ).

هذا، وقد حققت الرواية للأدباء عبر مختلف الحقب نجاحا ومقروئية، لما يميزها من متعة في القراءة والتخيل ونوعية لغتها، مما يشعر المتلقي بالتشويق والإثارة. فهي قصة من إبداع الراوي، تستمد مكوناتها من الواقع أحيانا ومن الخيال أحيانا أخرى.

3- الرواية، الفلسفة ومشروع الكونية: لقد استخدم عدد من الفلاسفة الرواية لحمل مشاريعهم الفكرية، وكذا بوصفها لغة ذات طبيعة فنية، هروبا من إلزامات المنطق وانتقادات الفلسفة وأسئلتها التي لا تنتهي، وكذا تجاوزا لسمتها المجردة التي تتطلب إدراكا ووعيا خاصا. هذا ما اتجه إليه على سبيل المثال لا الحصر: فريدريك نيتشه، جون بول سارتر ونجيب محفوظ الحائز على جائزة نوبل للأداب سنة 1988 وغيرهم، فمن هنا نعتبر الرواية والفلسفة حقلان متداخلان يتداولهما الفلاسفة والأدباء في مجالات متعددة، فالفلسفة تزود الأدب – ممثلا في الرواية- بالمناهج وترافقه بالنقد والتأمل، خصوصا ما يتعلق باللغة ووظائفها وطبيعتها ومستوياتها، وتناقش نتائجه مثله مثل العلوم الأخرى، وقد برزت فلسفات قوية في العصر الحديث والمعاصر موضوعها الأبرز هو اللغة، على غرار التحليلية، البنيوية والتفكيكية، وبرز في هذا الميدان فلاسفة أعلام فاقت شهرتهم شهرة اللغويين والأدباء على غرار فرناند دي سوسير وجاك ديريدا وغيرهم.

في الإطار نفسه، لا يمكن الحديث عن فلسفة دون لغة، فهي وسيلة التعبير والتجلي، إنها "تسهم الأفعال بزمنيها الماضي والحاضر في تنمية الحركة السردية في النص بشكل ملفت للانتباه، مع تفاوتها من حيث التواتر من مقطع لأخر،"3

وقد تطورت العلاقة بينهما خاصة بعد انتباه الفلسفة المعاصرة لأهمية اللغة، من خلال جعلها الموضوع الرئيس لدراساتها، في ما يعرف بالمنعطف اللغوي خصوصا عند الفلسفة التحليلية ذات الأصول أنجلوسكسونية. من هنا يمكن القول أن الفلسفة ضرورية للأدب، على غرار ضرورتها في بقية العلوم، وبما أن الرواية تنفتح على كل الأنواع الأدبية من مسرح وسينما وغيرها، وتستخدم اللغة بكل مستوياتها وأنواعها، كما تعتبر السلاح الأبرز للأديب للتعبير عن أفكاره وترويجها، فهي مؤهلة لحمل هاجس التفلسف لمنتجها أكثر من غيرها من الفنون الأدبية الأخرى، خصوصا أنها تتميز بصفة القابلية للتحول لعمل فني في المسرح والسينما، مما يسهل أيضا عليها الوصول لأوسع النطق.

المنارة للاستشارات

إن من أهم الإشكاليات التي تؤرق طبيعة العلاقة بين الفلسفة والأدب، تتعلق أساسا بتحديد مدى تأثير كل منهما على الأخر، وهل ارتقى هذا التأثير ليطورهما ويرقى بهما ليقدما حلولا للإنسانية، ومن ثمة المساهمة في تحقيق النهضة خصوصا عند المجتمعات التي تعاني مشكلات التخلف؟

رغم أن الرواية تتميز بالإبداع والخيال أما الفلسفة فهي البحث عن الحقائق بطريقة منطقية، إلا أنهما ظلا في تفاعل مستمر حيث تقدم لنا شخوص الرواية وأحداثها الكثير من المعاني والتفاسير عن فلسفة الكاتب، هذا ويبدو أن حضور الفلسفة من خلال فلسفات الشخوص والتأملات العميقة، وارد حتى عند أولئك الروائيين الذين لم تشكل الفلسفة خلفية معرفية أثناء تكوينهم المعرفي.

لقد ظل أنصار الفلسفة يعتبرون الرواية صناعة فلسفية بالأساس، وأنصار الأدب يرون أن الرواية حققت ما لم تحققه الفلسفة، ورغم هذا وذاك يمكننا القول أن تفاعلهما ظاهرة إيجابية وضرورية، تجعلهما ينتجان خطابا هجينا وجديدا، عادة ما تتسم به الروايات التي توصف بكونها فلسفية.

ثم إن من بين الأدباء والروائيين الكبار الذين ذاع صيتهم، نجد حضور أولئك الذين تلقوا تكوينا فلسفيا، حيث توفر الفلسفة لدارسها الأفكار والمناهج، وترافقهم بالتحليل والنقد، الأمر الذي يجعل الروائي مزودا بالكثير من الآليات التي من شأنها أن تمكنه من التحكم في موضوع الكتابة وكيفيته، من خلال وصفه للواقع أو تعامله مع مختلف المواقف والإشكالات.

3- رو اية "أولاد حارتنا" لنجيب محفوظ: في الفلسفة وسؤال الكينونة

صدرت رواية "أولاد حارتنا" للأديب المصري الحائز على جائزة نوبل للأدب نجيب محفوظ (1911-2006) سنة 1962، وهي التي ذكرت أثناء استلامه للجائزة سنة 1988، وتلقى بسببها الكثير من الإشادة، كما أثارت جدلا واسعا، منذ صدورها على شكل سلسلة في جريدة الأهرام، كما لم تنشر في مصر إلى غاية 2006، عن دار الشروق، بسبب المعارضة الشديدة التي واجهتها من طرف شيوخ الأزهر، كما أفرزت هذه الرواية عددا من الحوادث الشهيرة، لعل أهمها تكفير نجيب محفوظ بسبب تناوله للذات الإلهية بطريقة غريبة ممثلة في شخصية "الجبلاوي،" وصولا لمحاولة اغتياله سنة 1994.

بعد ما انقطع نجيب محفوظ عن الكتابة لمدة طويلة، عاد ليكتب رواية "أولاد حارتنا" بأسلوب مغاير عن أسلوبه السابق، فقد انفتح على الرمزية، وكان ذلك شبه انعطاف عن الواقعية، كما انفتح أكثر على العالمية والكونية ليجسد تحولا عن المحلية وحياة الحارة المصرية في أبعادها الواقعية، والتي كثيرا ما عُرف بها، هذا ما عبر عنه بقوله بأنها: "لم تناقش مشكلة اجتماعية واضحة كما اعتادت في أعمالي قبلها... بل هي أقرب إلى النظرة الكونية الإنسانية العام." 4

لقد استخدم نجيب محفوظ في "أولاد حارتنا" الرمز الديني، الذي استمده من قصص الأنبياء وحيواتهم، عبر كل محطاتهم رسالاتهم وما حدث لهم ابتداءً من آدم عليه السلام "أدهم،" وصولا إلى

المنارة للاستشارات
ww

"قاسم" في إحالة إلى النبي محمد عليه الصلاة والسلام، وقد عمد في ذلك إلى تفعيل خاصية محاكاة وإسقاط القصص والأسئلة الكونية على الحياة الاجتماعية، خُصوصا تلك التي تكون الحارة فضاءً لها.

إن من يقرأ رواية "أولاد حارتنا" يلتمس بلا شك أنها استمدت عالميتها وكونيتها، من الخلفية الفلسفية للكاتب، حمولته المعرفية في مجال الدين، لغته الروائية المتميزة، إضافة إلى سمة الخيال الواسع لكاتبها، من خلال فكرته الفريدة في استخدام العالم المثالي أو بالأحرى الطوباوي وإنزاله إلى الواقع في سمته الاجتماعية، المتمثل في الحارة وشخوصها. هذا إضافة إلى القيم الكونية التي تحملها، والمتمثلة في الرسالات السماوية التي رغم تعددها فهي تدعو دوما للتوحيد والسلام والأخوة بين البشر. بمقابل تأكيد مفاده أن مختلف الشرور والأزمات مصدرها الرئيس يكمن في جشع الإنسان، الأمر الذي يُفضي إلى أزلية الصراع بين الخير والشر، وهو ما تجسد بين شخوص الرواية داخل الحارة، ليشكل بذلك وضعية طبيعية للحياة البشرية، رغم اختلاف الأزمنة والأمكنة والظروف.

إن نظرة نجيب محفوظ الفلسفية لما حدث في العالم منذ نشأته إلى غاية الزمن المعاصر، تَبرز في مقام أول من خلال الصراع البشري في فضاء الوجود، ثم إبراز لدور الدين والرسالات السماوية، ممثلة شخصية "الجبلاوي" والعلم والمعرفة الممثلة في شخصية "عرفة." وصراع الخير والشر بين فتوات الحارة كما تتجلى الرؤية الفلسفية في نقده للظلم والكراهية والقتل وصنع الطغاة، ثم الدعوة إلى الاعتماد على الدين والعلم معا، وفي سياق حضاري، بدل التعصب لأحدهما في التعامل مع مختلف المواقف، وكذا درئه للتغني بأمجاد الماضي، الذي يصير نقيصة حينما يقترن بالتخلف، كل هذا تجسده وتمثله الأحداث والحوارات داخل الحارة خير تمثيل.

إن هذه الرؤية الكونية لنجيب محفوظ، لم تنف ورود جملة من الانتقادات التي أعاب على نجيب محفوظ استخدامه لغة التجديف في التعامل مع المقدسات الدينية، على غرار الذات الإلهية، والرسل، إضافة إلى تغييره لتفاصيل بعض قصص الأنبياء، وهو التجديف الذي جسده نجيب محفوظ –بحسب الرؤية المعارضة- من خلال قوله على سبيل المثال لا الحصر عن "...البيت الكبير الذي شيده "الجبلاوي" كأنما ليتحدى به الخوف والوحشة وقطاع الطريق." 5

وبالمقابل، ثمة من النقاد والقراء ممن كان لهم رأي مخالف من أهل الذائقة الفلسفية والأدبية، حيث اعتبروا "أولاد حارتنا" انجازا لغويا وأدبيا منقطع النظير، وإحالة متفردة لعلاقة الأدب بالفلسفة، وكذا ربطا فعالا بين الرواية الفلسفية وسؤال الكونية. كما رفضوا بالمقابل معاملة الرواية بوصفها وثيقة تاريخية أو دينية، بقدر اعتبارها عملا أدبيا مقرونا بالتخليق والتخيل، الأمر الذي يجعل –وفق هذا الفهم- ربط شخصية "الجبلاوي" في الرواية بالذات المقدسة شكلا من التجاوز والعسف، بمقابل الدعوة للتركيز ومن ثمة إثراء مقصدية الرواية ذات الأبعاد الكونية، في إشارة إلى الدعوة لاستخدام الدين، في مساوقته مع العلم لإنقاذ الإنسانية، وعدم الغلو في التفسيرات والتأويلات. الأمر الذي جعل من "أولاد

المنارة للاستشارات

ww

حارتنا" انجازا فكريا عالميا، امتزجت فيه الأسطورة بالدّين والعلم والثقافة الشعبية، وذلك بغرض محاكاة الحاضر والواقع بتعقيداته العميقة.

ثم إنها أسست لتفاعل بين الفلسفة والأدب، كما عرّفت العالم ببعض تفاصيل الثقافة العربية وأسئلتها الراهنية ذات المنحى الكوني، كما استخدمت الرمزية القوية المتمثلة في الدين، ثم الخيال الواسع الذي يتخطى الواقع وحدود الزمان والمكان للكاتب، بوصفهما عاملين أساسيين -الرمز والخيال- للسمة الفلسفية، التي تعد العنصر الفعال للارتقاء للكونية.

5- الرو اية الفلسفية وسؤال الكونية: أسئلة التعقيد والمآل

هذا، وتجدر الإشارة إلى أنه على الرغم من بلوغ الرواية الفلسفية سمة العالمية والكونية، بحُكم انتشارها، وكذا بالخصوص حينما يتعلق الأمر بكتابة فيلسوف لرواية على غرار أعمال جون بول سارتر (1905-1980) Jean Paul Sartre، و ألبير كامو (1913- 1960) Albert Camus، إلا أن ذلك لم يدرأ جملة الانتقادات التي وجهت لها، والتي ارتبطت في الغالب بسمتها الفلسفية التي غالبها ما تُضفي علها سمة التجريد المفضي للصعوبة، صعوبة فهم الأحداث وإدراك مقاصدها من طرف القراء، الأمر الذي يجعلها أحيانا مُرتبطة بالقراءة النخبوية.

هذا ما يُثبت أن الرواية الفلسفية، غالبا ما ترنو إلى الرمزية والتعقيد، كونها تعالج لغويا ومعرفيا من لدن منتج النص دون غيره، فتظل عصية على الفهم من طرف القراء الذي تعودوا الاستسهال والوضوح، أخذا بعين الاعتبار، أن "..النص الإبداعي، ومنه الرواية على وجه الخصوص يملك قابلية أن يقرأ على أكثر من صعيد بحسب تعدد مستويات القراءة." 6

إضافة إلى ذلك، إن سيطرة اللغة الانجليزية، ولغات أخرى، جعل من الروائيين الذين يكتبون بلغات أقل انتشارا وقوة، يعانون من ضعف مرئية أعمالهم وظلوا يحتاجون للترجمة، التي تلقي بالضرر أحيانا على مضمون النص، إن ارتباط الإبداع بلغة معينة أضحى يملك مبررات موضوعية، "...ذلك أن اللغة لا تستطيع أن تنشأ في مخبر، جاء "الإسبرنتو" الطبيعي وهو اللغة الإنجليزية حاملا معه هيمنة سياسية واقتصادية وعلمية."7

ثم إن مشروع الكونية بالصيغة التي سعى إلها روجي غارودي (1913- 2012)، حيث بناء حضارة إنسانية بمساهمة كل الشعوب بثقافاتها المختلفة، في صورة تزخر بالسلم والتعاون، من دون إقصاء للأخر. إذ وعلى الرغم مما لقيه هذا التوجه من إشادة وتنويه، لكنه بقي مجرد حلم جميل لم يستطع

المنارة للاستشارات

ww

التحقق بالشكل المطلوب لا من لدن الفلسفة ولا الرواية، بمقابل هيمنة النموذج الغربي، في صيغته المبنية على المركزية، الاستغلال، الأنانية، العنصرية وتغييب الضمير.

خاتمـة

بناءً على ما سبق، يُمكن القول، أن الروايات التي تتصف بالسمة الفلسفية ظلت عبر العصور تلقى ترحيبا وإقبالا من قراء الرواية، خصوصا أولئك الذين يملكون ثقافة عالية، ويملكون في الوقت عينه هواجس فلسفية تجعلهم يحوزون على رغبة الاستزادة في فهم قضايا وجودية على غرار الموت، الحرب. بمقابل دفاعها بشكل مباشر أو غير مباشر عن القيم الإنسانية، في إحالة إلى السمة الكونية.

لقد استمدت الرواية الفلسفية ميزاتها التي أهلتها لخدمة مشروع الكونية، من الإنسان نفسه الذي ظل محورها الرئيس، ومن استخدامها للغة متفردة تمثلت في اللغة الروائية المتأثرة بالفلسفة، والتي شكلت أداة فعالة في حمل الأفكار والتواصل بين المجتمعات والثقافات، وهما عنصران – الإنسان واللغة- يصعب الحديث عنهما خارج إطار المشاريع الفكرية.

كما يمكننا القول، أن الرواية، بما في ذلك الرواية الفلسفية، استمدت مكانتها بين مختلف الفنون الأدبية الأخرى، أو الكتابة الفلسفية على وجه الخصوص، عبر تميزها بالتحرر من الضوابط والمناهج الصارمة التي تحدد طريقة قبلية للكتابة، الأمر الذي جعلها موئلا للمفكرين والأدباء حيث الحرية للمنتج في ما يكتب وكيف يكتب، خارج الإلزامات الأكاديمية، كما يحدث مثلا في كتابة السيرة الذاتية، الأمر الذي جعل "...فن الرواية (...) يُشكل الآن سلطة رمزية، وأنها إغراء كبير وأنه ليس من حقنا أن نحدد لغيرنا ماذا يكتبون بالضبط." 8

أخيرا وليس آخرا، يُمكننا القول أن الرواية فعلت بالفلسفة -على وجه التشبيه- ما فعله بها سقراط (470- 399 ق.م) Socrates، فإذا كان هو أنزلها من السماء إلى الأرض كما يقول الخطيب اليوناني شيشرون (106- 43 ق.م) Cecéron، حيث حول التفكير البشري من الاهتمام بالوجود و أصل الكون، إلى الاهتمام بالإنسان وإدراكه لذاته، فإن الرواية أخرجتها من دهاليز النخبة والفئات الراقية إلى الجمهور الواسع، مُستخدمة في ذلك لغتها الفاتنة وأحداثها المشوقة وشخوصها المثيرة، ونسبة مقروئيتها العالية. وعبرت بها من ضيق المكان المتجسد في الواقع والإيديولوجيا إلى اتساع الأفق المتمثل في الخيال والرمز، وعبرت بها حدود الزمان والمكان، خصوصا بعد اقتحامها وسائل الإعلام المرئية، الأمر الذي ساهم بشكل كبير في إعطائها صبغة الكونية.

المنارة للاستشارات
ww

الهوامش:

1 – ابراهيم عباس، كتاب الرواية المغاربية تشكل النص السردي في ضوء البعد الإديولوجي، دار كوكب للعلوم،الجزائر، 2014 ، ط1، ص.58

2- المصدر نفسه، ص.57

3- وداد بن عافية، أسرار النص دراسات في الشعر العربي المعاصر، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2017، ط.1

4- رجاء النقاش، نجيب محفوظ صفحات من مذكراته وأضواء جديدة على أدبه وحياته. الطبعة الأولى ص141-142، مركز الأهرام للترجمة والنشر 1998.

5- نجيب محفوظ، أولاد حارتنا، دار الأداب، بيروت، لبنان، ط6، 1986.ص.11

6- مصطفى حركات، العربية بين البعد اللغوي والبعد الاجتماعي، دار الأفاق، 2017، ص.202

7- قلولي بن ساعد، إستراتيجيات القراءة المتخيل والهوية والاختلاف في الإبداع والنقد مقاربات نقدية، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2013، ض.23

8- المصدر نفسه، ص103.

المصادروالمراجع:

1- ابراهيم عباس، كتاب الرواية المغاربية تشكل النص السردي في ضوء البعد الإديولوجي، دار كوكب للعلوم،الجزائر، 2014 ، ط.1

2- قلولي بن ساعد، إستراتيجيات القراءة المتخيل والهويةوالاختلاف في الإبداع والنقد مقاربات نقدية، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، .2013

3- مصطفى حركات، العربية بين البعد اللغوي والبعد الإجتماعي، دار الأفاق، .2017

4- وداد بن عافية، أسرار النص دراسات في الشعر العربي المعاصر، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، .2017

5- رجاء النقاش، نجيب محفوظ صفحات من مذكراته وأضواء جديدة على أدبه وحياته. الطبعة الأولى، مركز الأهرام للترجمة والنشر 1998.

6- نجيب محفوظ، أولاد حارتنا، دار الأداب، بيروت، لبنان، ط6، 1986

المنارة للاستشارات

ww